

تَشَقُّقَ السَّمَاءِ ﴿٢﴾ بِالْغَمَامِ، وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَنْشَقُّ مِنَ الْمَجْرَةِ.

وَأَذِنتَ لِرَبِّهَا وَحَقَّتَ ﴿٦﴾

أذن له، استمع له (3)؛ ومنه قوله عليه السلام: ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن (4). وقول جحاف بن حكيم: أذنت لكم لما سمعت هريركم. والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع انصت له وأذعن ولم ياب ولم يتمتع. كقوله: «أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (5) «وَحَقَّتْ» من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، ومعناه: الإيذان بأن القادر بالذات يجب أن يتأتى له كل مقبور ويحق ذلك.

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٧﴾

﴿مدت﴾ من مد الشيء فامتد، وهو أن تذال جبالها وأكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنسبط ويستوي ظهرها. كما قال تعالى: قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مدت مد الأديم العكاظي، لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى، أو من مد بمعنى: أمده، أي: زيدت سعة وبسطة.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٨﴾ وَأَذِنتَ لِرَبِّهَا وَحَقَّتَ ﴿٥﴾

﴿والقت ما فيها﴾ ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز. ﴿وتخلت﴾ وخلت غاية، والخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو، كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبيعتهما. ﴿وانت لربها﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها.

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَارِجٌ لَّنَّ رَّبَّكَ كَدًّا فَتَلْبَسُ ﴿٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أَرَبَ كَنُوبًا يَجِيرُ ﴿١٠﴾

الكدح: جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده إذا خدشه. ومعنى: ﴿كادح إلى ربك﴾ جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء. ﴿فملاقية﴾ فملاق له لا محالة لا مفرك منه. وقيل: الضمير في ملاقيه للكدح.

فَسَوْفَ يَجَاسِبُ حَسَابًا يَبِيرُ ﴿١١﴾

﴿يسير﴾ سهلاً هيئاً لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة رضي الله عنها: هو أن يعرف نوبه ثم يتجاوز عنه.

هَؤُلَاءِ لَصَّالُونَ ﴿١٢﴾

﴿فكهن﴾ ملتذين بنكرهم والسخرية منهم، أي: ينسبون المسلمين إلى الضلال.

وَمَا أُرِيَهُمْ عَلَيْهِمْ حَفِيفَةً ﴿١٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ ﴿١٤﴾

﴿وما أرسلوا﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار: وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا: إن هؤلاء لضالون، وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكاراً لصددهم إياهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وجدهم في ذلك.

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٥﴾

﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من يضحكون أي: يضحكون أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد الدعيم والترفة وهم على الأرائك آمنون. وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: أخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك المؤمنون منهم.

هَلْ يُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦﴾

ثوبه وأثابه بمعنى إذا جازاه. قال أوس: سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وحسبك أن ينثي عليك وتحمدي وقرئ: بإدغام اللام في الثاء، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة» (1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة انشقت مكة

إِذَا عَمَاءٌ انْفَقَتْ ﴿١﴾

حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار، وقيل: جوابها ما دل عليه فملاقية أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه، ومعناه: إذا انشقت بالغمام. كقوله تعالى: ﴿ويوم

= يسرع له ويطاع، فيثبت له صفة الكمال، ويوحده حق توحيد، وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى، وإشراك مخلوقاته به جل ربنا وعن.

(4) تقدم في سورة إبراهيم.

(5) سورة فصلت، الآية: 11.

(1) نكره الثعلبي وابن مردويه والواحي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 174.

(2) سورة الفرقان، الآية: 25.

(3) قال أحمد: نص تفسير الآية بقوله: القادر بالذات وما به لا يقول: القادر الذي عمت قدرته الكائنات، حتى لا يكون إلا بقدرته حقيق أن =

الشمس، ويسقطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء، إلا ما يروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه في إحدى الروايتين أنه البياض، وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته، ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه.

وَأَلَيْلَ وَمَا وَسَقَ ﴿٧٤﴾

﴿وما وسق﴾ وما جمع وضم. يقال: وسقه فاتسق واستوسق. قال: مستوسقات لو يجدن سائقًا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع. ومعناه: وما جمعه وستره وأوى إليه من الدواب وغيرها.

وَأَلْقَرَ إِذَا أَسَقَ ﴿٧٥﴾

﴿إذا اتسق﴾ إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة.

لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿٧٦﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾

قري: لتركب على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان، ولتركب بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس، ولتركب بالكسر على خطاب النفس، وليركب بالياء على ليركب الإنسان. والطبق ما طابق غيره. يقال: ما هذا طبق لثرى لذا، أي: لا يطابقه، ومنه قيل للغطاء: الطبق. وإطباق الثرى ما تطابق منه. ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق، ومنه قوله عز وعلا: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي: حالاً بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة. من قولهم: هو على طبقات، ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركب أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ما محل عن طبق؟ قُلْتُمْ: النصب على أنه صفة لطبقاً، أي: طبقاً مجاوزاً لطبق، أو حال من الضمير في لتركب، أي: لتركب طبقاً مجاوزين لطبق، أو مجاوزة على حسب القراءة. وعن مكحول: كل عشرين عامًا تجدون أمرًا لم تكونوا عليه.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٩﴾

﴿لا يسجدون﴾ لا يستكثنون ولا يخضعون، وقيل: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم: وأسجد، واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت (4) وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجدة، وعن ابن عباس: ليس في المفصل سجدة. وعن

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من يحاسب يحاسب حسابًا يسيرًا». قال: «ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب». وَتَلْبِطُ إِلَى أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا ﴿٨٠﴾

﴿إلى أهله﴾ إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين. وَإِنَّمَا مَنْ أَرَبٌ كَيْتَبُ وَرَدَّ ظَهْرَهُ ﴿٨١﴾

﴿وراء ظهره﴾ قيل: تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره. فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ﴿٨٢﴾

﴿يدعو بُرُورًا﴾ يقول: يا بُرُوراه والثبور الهلاك.

وَيَصَلِّ سِيمَا ﴿٨٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا ﴿٨٤﴾

وقري: ﴿ويصلي سعيًا﴾. كقوله ﴿وتصلية جسيم﴾ (2) ويصلى بضم الياء والتخفيف. كقوله: ﴿ونصله جهنم﴾ (3) ﴿في أهله﴾ فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعًا مسرورين، يعني: أنه كان في الدنيا مترفًا بطرًا مستبشّرًا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب، ولم يكن كثيرًا حزينًا متفكرًا كعادة الصالحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين. إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَنْ يَحُورُوا ﴿٨٥﴾

﴿ظن أن لن يحور﴾ لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبًا بالمعاد. يقال: لا يحور ولا يحول. أي لا يرجع ولا يتغير، قال لبيد: يحور رماذا بعد إذ هو ساطع. وعن ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حوري. أي: ارجعي.

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿٨٦﴾

﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي: بلى ليحورن. ﴿إن ربه كان به بصيرًا﴾ وباعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها. وقيل: نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود بن عبد الأشد.

فَلَا أُنْفِثُ بِالْشَّفَقِ ﴿٨٧﴾

الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط

(2) سورة الواقعة، الآية: 94.

(3) سورة النساء، الآية: 115.

(4) لم يخرج الزليعي.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سمع شيئًا فراجع حتى

يعرفه (الحديث رقم: 103) وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة، باب:

إثبات الحساب (الحديث رقم: 79 - 2876).

محمد وسائر الأمم. وقيل: يوم التروية ويوم عرفة. وقيل: يوم عرفة ويوم الجمعة، وقيل: الحجر الأسود والحجيج. وقيل: الأيام والليالي وبنو آدم. وعن الحسن: ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد، فإغتمني قلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة، وقيل: الحفظة وبنو آدم، وقيل: الأنبياء ومحمد عليه السلام.

### قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ٤١

فإن قُلْتُ: أين جواب القسم؟ قُلْتُ: محنوف يدل عليه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾. كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونين. يعني: كفار قريش، كما لعن أصحاب الأخدود. وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحروقين بالنار ملعونين أحقاء بأن يقال فيهم: قتل قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود. وقتل دعاء عليهم، كقوله: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾<sup>(١)</sup> وقرئ: ﴿قتل﴾ بالتشديد، والأخدود: الخد في الأرض وهو الشق ونحوها بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جردان. روي عن النبي ﷺ أنه قال: كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضمَّ إليه غلاماً ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه. فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فقتلها، فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمة والأبرص ويشفي من الأوباء. وعسى جليس للملك فأبراه فأبصره الملك فسأله فقال: من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي. فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن بينه، فقد بالمنشار وأبى الغلام. فذهب به إلى جبل لي طرح من نروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا. فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد، وتصلبني على جزع، وتأخذ سهماً من كنانتي، وتقول بسم الله رب الغلام، ثم ترميني به. فرماه، فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات. فقال الناس: أمانة برب الغلام، فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر. فأمر بأخايد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاغست أن تقع فيها فقال الصبي: يا أمه اصبري فإنك على الحق

أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها. وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها<sup>(١)</sup>. وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا. وعن الحسن: هي غير واجبة.

﴿الذين كفروا﴾ إشارة إلى المنكوريين.

وَأَلَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُؤْمَرُونَ ٤٢

﴿بما يوعون﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء.

فَيَرَهُمْ كَمَا لَآبِ أَيْرٍ ٤٣

أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من العذاب.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَمْ أَجْرٌ عِزٍّ مَمْنُونٍ ٤٤

﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء منقطع. عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة انشقت أعانه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره.<sup>(٢)</sup>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة البروج مكية

وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ ١

هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه، وقيل: البروج النجوم التي هي منازل القمر، وقيل: عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها، وقيل: أبواب السماء.

وَأَبِيرُ الْوَعْرَةِ ٢

﴿واليوم للموعود﴾ يوم القيامة.

وَدَّوِيرٌ وَنَشُورٌ ٣

﴿وشاهد ومشهور﴾ يعني: وشاهد في تلك اليوم ومشهود فيه. والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كليله، وبالمشهود ما في تلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما: إما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت، كأنه قيل: وما أفرطت كثرت من شاهد ومشهود، وإما الإيهام في الوصف، كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل: الشاهد والمشهود محمد ﷺ ويوم القيامة، وقيل: عيسى وأمه. لقوله: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم. وقيل: أمة

(2) ذكره الثعلبي وابن مروييه والواحي في تفاسيرهم، زيلعي 4/178.

(3) سورة عبس، الآية: 17.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: سجود القرآن، باب: سجدة إذا السماء اشقت (الحديث رقم: 1074)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة (الحديث رقم: 1018). (578..)